

المرأة وعنوان الانفتاح

محمد درويش علي

تشكل قضية (أي قضية)، ارضية خصبة لمناقشات دائمة، اذا ما اعتبرنا هذه القضية ضمن اطار المفهوم المتغير بتغير الزمن، والذي ياخذ تفسيراً او معنى جديداً، يختلف عما كان عليه في السابق. فالمفاهيم القديمة عن المرأة، والتي شكلت في حينها مغايرة لما هو مالوف وسائد، بحكم طبيعة المجتمع ومارافقها من اطر حديدية شكلت قيماً سائدة انذاك، لم تعد الان شيئاً ذا قيمة، او بتعبير اخر لا ينظر لها الا كونها ابجديات، يجب البحث عن الذي ياتي، و بالفعل قد جاء ما بعدها. فمفاهيم وطروحات قاسم امين في كتابه (المرأة الجديدة) ودعوات الشاعر جميل صدقي الزهاوي التي ضمنها في قصائده، وكذلك ماجاء في طروحات سلامة موسى ولاسيما في كتابه (المرأة ليست لعبة الرجل) وغيرها فضلا عن طروحات نوال السعداوي التي كانت تقترب في بعض من فقراتها الى الغاء دور الانثى عن المرأة بحجة مساواتها مع الرجل والتاكيد في مرات اخرى على الجانب الايروي فقط للتاكيد على انسانيته وغيرها من الدعوات والطروحات، تجاوزتها مجتمعاتنا، او اغلبها، وانما استمرت القضية، ووصلت الى مراحل متطورة من خلال بحث المرأة عن ذاتها، والتعبير عنها، وايمانها هي اولاً بدورها المشروع وفق الاسس الانسانية التي تريدها لنفسها، لتضمن بالتالي موقف الجانب الاخر الذي هو الرجل معها، والذي ياتي ليس بقرار انثوي، بقدر ما ياتي نتيجة تحرير الرجل لنفسه، او تحريره من قبل المرأة وهي تصر على موقفها وتطلعاتها ولا تقف عند حد، وانما تسير، وتجدد سيرها دائماً، لكي لا يكون سيرها ضمن مفهوم الجمود الاجتماعي، الذي يريده الكثير من الرجال الذين يجرحهم اصرار وديناميكية المرأة. فنجد الرجل ينعت المرأة بنعوت تقترب من العطفية، وتسائر تطلعاتها بشكل حذر، والتي هي في نهاية الامر تعطيل لدورها، دون ان تدرك. فهل تحتاج المرأة الان، ان يقول الرجل، انت

الأم، وانت الأخت، وانت الزوجة، لتطمئن على دورها وموقفها؟ فالرجل ايضا هو الاب والاخ والزوج، وماذا يعني كل هذا، اعني ان يتوقف عن هذه الحدود ولا يتجاوزها، بدعوى ان حصل على اقامته ضمن هذه الاطر، المغلقة بغلاف العاطفة؟! مسألة الحجاب والسفور ونوعية الملابس ما عادت تشكل مطلباً أساسياً للمرأة، وان كانت هنالك حالات من الحجاب الذي يخفي وجه المرأة بالكامل، ويضلل عنها النظر بمعناها المجرد، فان هذا ليس الحقيقة بقدر ما هو ارتداد، وبحث من جديد عن دور اخر، يقف وراءه نمط من تفكير دوغماتي. واتذكر في هذا الصدد جوابا لنشطة في شؤون المرأة، ردا على سؤال بصدد هكذا نوع من السلوك تتبعه بعض النساء، اذ قالت: لا استطيع ان اثق بامرأة تخاف من نفسها.

هذا ليس تجاوزاً على ذات تسكن مثل هؤلاء النساء، وانما هو تجاوز على سلوك، لايقدم ما يفاجيء المجتمع بما تقوم به المرأة. لذلك فأن مفهوم قضية المرأة هو مفهوم واضح يتمثل بسلوك سوي وحرص على دور فعال ومتعال، يساير دور الرجل سواء اكان مؤمناً بها، او ناقماً عليها . وافرز مجتمعنا العراقي خلال السنوات الثلاثين الماضية، وقبلها، نماذج مهمة لنساء كن يمارسن هذا الدور بتلقائية ودون ان يعرفن نظريات او توجهات فكرية وسياسية، حينما أقمن على عوائلهن عند فقدان رب الاسرة في الحروب، وفي موته، وكانت ظروفها صعبة تصل الى مرتبة الظلم! لذلك ليس غريباً ان تصبح المرأة عنواناً للمجتمعات المنفتحة على نفسها اولاً، وبالتالي على مجتمعات اخرى، ويكون هذا العنوان درسا بالغ الاهمية بالامكان استيعابه وهضمه. اما المجتمعات المنغلقة على نفسها، يكون الانغلاق من بوابة المرأة، وخضوع الرجل لمفاهيم تقليدية، لاتؤمن بالتطور البشري، ولاتقيم وزناً لمستقبل يجعل من الرجل هشيماً خائفاً من نقطة ضوء لا اعتقاده انها نار ستأكله! وعليه فأن اصرار المرأة على تخطي المألوف والسائد مشروع، بل ضرورة ملحة، وتفهم الرجل مطلوب، ولكن ليس بقدر اصرار المرأة، على اعتبار ان الموضوع يخصها قبل غيرها.

وعندها سيكون العنوان بارزا في مجتمع ابوابه مشرعة لدخول رياح التغيير
الانساني، الذي يهمننا جميعا، دون ان نفكر ان المرأة تتقدمنا او تسير معنا، شرط ان
لا تتبعنا!.